

تفسير السعدي

@ 200 @ وغيرها . وأنه يشترط في الحكم ، العلم والعدل لقوله : ! 2 2 ! ولم يقل : بما رأيت . ورتب أيضا ، الحكم بين الناس على معرفة الكتاب . ولما أمرنا بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط ، نهاه عن الجور والظلم ، الذي هو ضد العدل فقال : ! 2 2 ! أي : لا تخاصم عن من عرفت خيانتة ، من مدع ما ليس له ، أو منكر حقا عليه ، سواء علم ذلك ، أو ظنه . ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل ، والنيابة عن المبتطل ، في الخصومات الدينية ، والحقوق الدنيوية . ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم . ! 2 2 ! مما صدر منك ، إن صدر . ! 2 2 ! أي : يغفر الذنب العظيم ، لمن استغفره ، وتاب إليه وأتاب ، ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك ، الموجب لثوابه ، وزوال عقابه . ! 2 2 ! . (الاختيان) و (الخيانة) بمعنى الجناية ، والظلم ، والإثم ، وهذا يشمل النهي عن المجادلة ، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة ، من حد أو تعزير ، فإنه لا يجادل عنه ، بدفع ما صدر منه من الخيانة ، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية . ! 2 2 ! أي : كثير الخيانة والإثم . وإذا انتفى الحب ، ثبت ضده ، وهو البغض ، وهذا كالتعليل ، للنهي المتقدم . ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم ! 2 . ! وهذا من ضعف الإيمان ، ونقصان اليقين ، أن تكون مخافة الخلق عندهم ، أعظم من مخافة الله فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة ، على عدم الفضيحة عند الناس ، وهم مع ذلك قد بارزوا بالعظائم ، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم . وهو معهم بالعلم ، في جميع أحوالهم ، خصوصا في حال تبينتهم ما لا يرضيه من القول ، من تبرئة الجاني ، ورمي البريء بالجناية ، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ، ليفعل ما بيتوه . فقد جمعوا بين عدة جنایات ، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات ، المطلع على سرائرهم وضمايرهم ، ولهذا توعدهم تعالى بقوله : ! 2 2 ! أي : قد أحاط بذلك علما . ومع هذا ، لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم ، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم ، الموجب للعقوبة البليغة . ! 2 ! أي : هبكم جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا ، ودفع عنهم جدالكم بعض ما يحذرون من العار والفضيحة ، عند الخلق . فماذا يغني عنهم وينفعهم ؟ ومن يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة ، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ؟ ! 2 2 ! . فمن يجادل عنهم ، من يعلم السر وأخفى ، ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار ؟ وفي هذه الآية ، الإرشاد إلى المقابلة ، بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله ، أو فعل مناهيه . وبين ما يفوت من ثواب الآخرة ، أو

يحصل من عقوباتها . فيقول من أمرته نفسه بترك أمرها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا ،
فما النفع الذي انتفعت به ؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة ؟ وماذا ترتب على هذا الترك من
الشقاء والحرمان والخيبة والخسران ؟ وكذلك إذا دعتة نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات
المحرمة ، قال لها : هبك فعلت ما اشتهيت ، فإن لذته تنقضي ، ويعقبها من الهموم ،
والغموم ، والحسرات ، وفوات الثواب ، وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها
، وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره ، وهو خاصة ، العقل الحقيقي . بخلاف من يدعي العقل
، وليس كذلك . فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة ، والراحة الراهنة ، ولو ترتب
عليها ما ترتب . والله المستعان . ثم قال تعالى : ! 2 2 ! أي : من تجرأ على المعاصي ،
واقترح على الإثم ، ثم استغفرا الله استغفاراً تاماً ، يستلزم الإقرار بالذنب ، والندم عليه ،
والإقلاع ، والعزم على أن لا يعود . فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد ، بالمغفرة والرحمة .
فيغفر له ما صدر منه من الذنب ، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب ، ويعيد إليه
ما تقدم من الأعمال الصالحة ، ويوفقه فيما يستقبله من عمره ، ولا يجعل ذنبه حائلاً عن
توفيقه ، لأنه قد غفره ، وإذا غفره ، غفر ما يترتب عليه . واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق
، يشمل سائر المعاصي ، الصغيرة والكبيرة . وسمي (سوءاً) لكونه يسوء عامله بعقوبته ،
ولكونه في نفسه سيئاً ، غير حسن . وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق ، يشمل ظلمها بالشرك ، فما
دونه . ولكن